النجف الاشرف
في نتاج الدكتور حسين علي محفوظ

الاستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم
جامعة الكوفة /كلية الاداب

النجف الاشرف
1428هـ 2007م

خصص العلامة الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ جزءا من نتاجه العلمي والادبي الى مدينة النجف الاشرف فاولاها عناية متخصصة، تناول تاريخها ورجالها والحركة العلمية والثقافية فيها، وهذا له دلالة على حبه الوافر، ووفائه الكبير للمدينة التي احتضنته طالبا للعلم، وقد ارتوى من غيرها العذب الفياض، ومن ثم اصبح عالما متقنا ورجاليا متخصصا ومحدثا بارعا قد شهدت النجف حضوره واستمتعت لمحاضراته واصبحت الاجازة العلمية التي حصل عليها من اعلام النجف اثمن شهاداته العلمية، واوقعها في نفسه وما زال يحتفظ بها في خازنة كتبه العامرة، وقد كشفت هذه الاجازات عن عمق تفكيره، وسعة معارفه، وقد اجازه عشرون من مراجع النجف ومجتهديها وعنده ثلاثة وعشرون اجازها من اعلامها، فقد لازم العلامة الكبير الشيخ بزرك الطهراني (صاحب كتاب الذريعة) وكان اول شيوخه وشيخ اجازته ولمتانة هذه الروابط والجسور العريضة بين مدينة النجف الاشرف والدكتور حسين علي محفوظ كتب عن مدينة النجف الاشرف ونشر بعض تراثه مؤكدا بذلك ولاءه المتين لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، وللتربة الطاهرة التي احتضنت جسده الشريف، لذا اصبح من واجب النجف ان تضع الدكتور حسين محفوظ في موقعه العلمي اللائق به، والمنزلة الرفيعة التي يستحقها وما مبادرة الاستاذ الدكتور محسن الشيخ راضي النجفي الا جزءا من وفاء النجف لهذا العيلم الكبير، وما كتبه الاستاذ حميد المطبعي النجفي في كتابه(العلامة الدكتور حسين علي محفوظ) فهو ايضا جزء آخر من ذلك الوفاء وان بحثي المتواضع يؤكد حقيقة الصلة بين النجف ومحفوظ وقد وزعته على المحاور الخمسة الآتية:

1- الامام علي عليه السلام ومدينة النجف الاشرف.
2- مدرسة النجف العلمية والأدبية.
3- فقهاء النجف واعلامها.
4- مؤسسات النجف ومعاهدها.
5- مجتمع النجف واسرها العلمية.

وقد خصص المحور الأول من هذا البحث الى كتابات ودراسات الدكتور حسين علي محفوظ باب علم النبي عليه افضل الصلاة والسلام صاحب نهج البلاغة أمير المؤمنين علي عليه السلام وفي قدسية ارض الغري ووادي السلام وقد افرغ الدكتور محفوظ حبه فيهما نثرا وشعرا وعلي العنوانات الآتية:[1]

1- مناقب علي
2- علي ووالديه وقاضيه.
3- سيرة اطيب من المسك.
4- علي بن ابي طالب.
5- ذو الفقار سيف علي.
6- احصاء كلمات علي.
7- علم علي.
8- الامام علي (دراسة)

9- الحديث في تراث اهل البيت (ع).
10- من تراث اهل البيت (ع)
11- احاديث عن الامام علي في الاذاعة.
12- الملاحم والفتن في نهج البلاغة.
13- نهج البلاغة (دراسة).
14- الانسان الكامل (دراسة عن الامام علي عليه السلام).
15- المودة في القربى (ديوان شعر في النبي وعلي والائمة الاثني عشر عليهم السلام).

وتشكل هذه الموسوعة العلوية في الفكر العربي الاسلامي صورة واضحة لامير البلاغة والبيان صاحب السيف واللواء قد لا نجدها في الدراسات الأخرى، ونسأل الله تعالى ان يكون لها موقعا في المكتبة العربية في القريب العاجل.

وكان الدكتور محفوظ قد اكد في المحور الثاني من هذا البحث اصالة المدرسة النجفية وعمقها التاريخي بصفتها وريثة الحيرة والكوفة بقوله: ووريثة الكوفة جمجمة العرب ورمح الله وكنز الايمان[2] وقد اراد بقوله هذا ان ارض النجف كانت في عصر ما قبل الاسلام منتدى فكريا لنصارى الحيرة الذين اتخذوا من الغريين يومذاك مواقع لاديرتهم ومحطات لعباداتهم اما في العصر الاسلامي فقد اصبحت النجف بعد بروز المرقد الشريف امتدادا لمدرسة الكوفة وقد اشار الدكتور محفوظ الى ذلك بقوله(تمتد هذه المدرسة العظيمة المجيدة الى اعماق تاريخ الكوفة وتلتقي فيها الحيرة والغري ويجتمع فيها المصران البصرة والكوفة وتشخص فيها مدينة السلام بغداد)[3] وحينما اصبحت النجف مدينة عامرة بالعلم والعلماء بدءا من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وصفها الدكتور محفوظ بمدينة العلم ومدرسة الفقه الكبرى وجامعة الاسلام العليا[4] وقد اعد الدكتور محفوظ دراسة مستفيضة بعنوان (النجف مدينة العلم العظمى ومدرسة الفقه الكبرى) وله بحث آخر بعنوان (مدرسة الفقه الكبرى) واعد مشاريع بحية في الحركة العلمية والادبية في مدينة النجف الاشرف واعلامها وهي:[5]

1- النجف الاشرف (ادوار العلم والادب)
2- ادوار العلم والادب في الكوفة.
3- ادوار الادب في النجف الاشرف.
4- تراث النجف.
5- دور النجف في خدمة المعرفة والكتاب.
6- احصاء البحوث العلمية.
7- ارجوزة في فضائل النجف الاشرف.
8- ارجوزة في فضائل الكوفة.
9- احصاء العلماء.
10- احصاء المؤلفين.
11- ثلاث مقالات عن العلامة السيد عبد الكريم المدني نشرت في جريدة الجمهورية.

12- دراسات وابحاث ومقالات لم تنشر.
13- اراجيز واجازات منظومة للمستجيزين.
14- ثلاث مقالات عن الامام السيد الخوئي والنجف، نشرت في جريدة الجمهورية.

وكان قد نشر في مجلة النجف عام 1957 م بحثا بعنوان (سر بقاء النجف وخلود العلماء اكد فيه اصالة المدرسة النجفية وفخامة تراثها فيقول(نفر الى النجف امة من الناس وخرجت اما منا لعلماء وكتب الله للعلم في هذه البلدة الطيبة ان يظل زاكي الارومة رضيع المحتد قوي الاساس اصيل الجنم)[6] وقد حدثني استاذي الدكتور محفوظ انه لديه قصيدة نظمها في وادي السلام وقصيدة أخرى في مدينة النجف الاشرف والحقيقة التي يجب ان تقال ان الدكتور محفوظ كان حريصا على احياء رجال الامة وعظمائها بعيدا عن النظرة المذهبية او الاقليمية او القطرية فقد اقترح في عام 1950م احياء الذكرى الالفية والمئوية للمشاهير من رجال العلم والادب والفلسفة والفنون وفي عام 1960م قدم مقترحا الى وزارة الارشاد يومذاك بعنوان (تقويم الخالدين) وانطلاقا من آرائه هذه كان لتلمس الجوانب المضيئة لرجال العلم والفكر في العالمين العربي والاسلامي وكان اعلام النجف الاشرف يقعون في محور الدائرة التي وضعها الدكتور محفوظ بقوله (فلا نتعجب ان يكون خريجو مدرسة النجف ابدا من الدعاة الى الكلمة بكلمة التوحيد[7] وكانت محاضرته (مدرسة النجف في علم الاصول) التي القاها في مجلس الاثنين لآل الخاقاني بتاريخ 1996/8/18 بمناسبة تكريم سماحة العلامة الحجة السيد محمد تقي الحكيم قد اشار فيها الى تاريخ علم الاصول في المدرسة النجفية وما قدمته من دراسات وبحوث اصيلة في هذا العلم.

وتركز المحور الثالث من هذا البحث على اعلام مدينة النجف في كتابات الدكتور حسين علي محفوظ فقد كان الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى عام 460هـ في مقدمة هؤلاء الاعلام ففي عام 1966م كتب بحثا بعنوان (طرائف من سيرة الشيخ الطوسي) وقد عد كتابيه (الفهرست) و (الرجال) من مصادر البيوغرافيا والبيليويوغرافيا في مكتبة التراث[8] واعطى الشيخ الطوسي صفة الاولوية في الكتابة والتأليف في الفقه المقارن بقوله وكان الشيخ الطوسي - وهو مؤسس مدرسة النجف الاشرف- اول من جمع آراء اهل المذاهب والفرق الاسلامية بعد استاذه السيد الشريف المرتضى في كتاب الخلاف[9] وكان السيد المرتضى علي بن الحسين الموسوي المتوفى عام 436هـ قد الف كتاب (الانتصار) في الفقه المقارن وهو اسبق زمنيا من تأليف كتاب الخلاف للشيخ الطوسي[10] وقد اشار الدكتور محفوظ الى اهمية كتب الفقه المقارن الرامية الى وحدة الامة واجتماع اهل القبلة[11] وانه من الثابت تاريخيا ان مدرسة النجف العلمية قد بلغت في عهد الطوسي وا بنه الشيخ ابو علي الحسن، تعطي دلالة على انتظام الوضع الدراسي في مدينة النجف فيقول الدكتور محفوظ فان بيت الشيخ اول بيت خدم العلم في تاريخ النجف الاشرف بعد هجرة الشيخ اليها في اواسط القرن الخامس، وقد اتمت مجالس ابنه مجالسه، واكملت دروسه وهو المشهور (بالمفيد الثاني) وفقيه الامامية بمشهد

علي عليه السلام وينتهي اليه كثير من الاسانيد والروايات وطرق الاجازات[12] وقد اعاد الدكتور محفوظ الكتابة في الشيخ الطوسي عام 1971م فنشر بحثا في مجلة رسالة الاسلام بعنوان (الشيخ الطوسي) وكنت في هذا الوقت قد اخترت الشيخ الطوسي عنوانا لرسالتي الجامعية للحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي فقصدت الدكتور محفوظ في كلية الآداب والتقيت به للمرة الأولى دون ان تكون لي معه معرفة سابقة سوى اني وطلبة الكلية نعرفه من خلال مناقشاته للرسائل الجامعية وحضوره العلمي المتميز في الكلية وكان بحق علمها ومربي الاجيال فيها وقد استقبلني والابتسامة طافحة على وجهه وكأنه يعرفني من زمن بعيد واخذ يحاورني في الشيخ الطوسي حتى اكثر الاسئلة حوله حتى قال لي الحرف الواحد امضي يا بني في مشروعك واكتب عن الشيخ الطوسي وسوف اكون عونا لك فانك سوف تنال به شهادة الماجستير وقد حفزني هذا الدعم العلمي على اكمال رسالتي وساعدتني توجيهاته وارشاداته على استقصاء المصادر والمراجع وبقيت اطال الله عمره استقي منه المعارف والعلوم حتى هذا اليوم وقد اكون مصدر ازعاج له عند استفساري عن مسألة عن طريق الهاتف في الصباح ا و المساء وكان على عادته يصغي الي بدقة حتى اكمل حديثي ثم يجيب بكل هدوء وتروي.

وقد استمر الدكتور حسين علي محفوظ في البحث في اعلام النجف الاشرف بعد عصر الشيخ الطوسي ، فقد كتب عن السيد بحر العلوم محمد مهدي الطباطبائي المتوفى عام 1212هـ فقال: (وهو راعي المعركتين الادبيتين المعروفتين في المائة الثالثة عشرة وكان هذا مثالا استشهد به على الحياة الادبية في النجف في هذه الفترة اما الحياة العلمية فقد وصفها بالقول: (قرأ عليه في زمن رئاسته من لا تحصى عدتهم من الفقهاء والعلماء والادباء واشهرهم (75) من كبار معارف عصره[13] ووصف الشيخ الاكبر الامام الشيخ جعفر الجناجي المتوفى عام 1228هـ بالقول (من رؤساء العلماء واوعية العلم وشيوخ الفقه[14] وعد كتابه (كشف الغطاء) من امهات الكتب الفقهية في المدرسة النجفية اما الشيخ محمد حسن النجفي المتوفى عام 1266هـ فقال عنه انه من اركان العلم واكابر الفقهاء واساطين علماء هذا القرن وهو من رؤساء فحول ائمة الدين في عصره وان كتابه (جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام) يعد اكبر موسوعات الفقه[15] وهذه حقيقة اكيدة يعرفها الفقهاء والعلماء اذ انه لا بد له من الرجوع الى كتاب (جواهر الكلام) في المعضلات الفقهية واشار الدكتور حسين علي محفوظ الى مجلس الامام المجدد الشيخ مرتضى الانصاري المتوفى عام 1281هـ بانه يضح جناحيه على خمسمائة من العلماء والفقهاء والمتفقهين[16] وعند الشيخ الانصاري ختم الدكتور محفوظ حديثه عن اعلام النجف الكبار في القرن الثالث عشر الهجري وبعد لك انتقل الى دراسة اعلام القرن الرابع عشر الهجري فابتدأ بالشيخ محمد حسين الكظمي المتوفى عام 1308هـ فقال: انه بلغ من العلم ما اتاح له رئاسة مدرسة الفقه الكبرى في مدينة العلم[17] واشار الى الامام المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني المشتهر بالآخوند المتوفى عام 1329هـ بقوله كان من احرار العلماء ومن رجال المشروطة طالب بالدستور والمجلس ودعا الى الحرية ونادى بالجهاد وكتابة (الكفاية في الاصول)فانه

ما زال المعول عليه في التدريس[18] اما الفقيه والاصولي الكبير الشيخ محمد حسين النائيني المتوفى عام 1355هـ فانه كان شريك الشيخ الآخوند في الدعوة الى الحرية والدستور وقد وصفه الدكتور محفوظ بقوله (وقد انتهت اليه زعامة مدرسة الفقه الكبرى في النجف الاشرف في عصره وهو استاذ المجتهدين الكبار) وقال انه شيخ العلماء الاحرار واستاذ جمهرة الفقهاء الأواخر[19] من امثال الامام السيد محسن الحكيم المتوفى عام 1390هـ/ 1970م والامام ابي القاسم الموسوي الخوئي المتوفى عام 1413هـ/1992م وغيرهما من مراجع التقليد و الفتيا وقد خص الدكتور حسين علي محفوظ، السيد الخوئي من بين تلاميذ الشيخ النائيني بالقول: انه من الائمة الكبار في العلم وهو من مجددي هذا القرن في علوم الدين[20] وقال انه تلميذ العراق وخريج النجف الاشرف واستاذ الاساتيذ وفقيه العصر[21] وللاستاذ محفوظ اجازة سماها جني الجنتين في اجازة المراجع الاعليين[22] وهي في رواية الحديث وتراث الاسلام نثرا ونظما.

وتحدث الدكتور محفوظ عن بعض ادباء النجف وكتابها وشعرائها ففي عام 1957م كتب عن العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي وكتابه (ابن الفوطي) و قد وصف الشيخ الشبيبي بعلامة العراق واشار الى بحثه الذي القاه في مهرجان ابن سينا الألفي بقوله(والحق اقول منهج تأسيسي جدد فيه موازين النقد والدراسة وحصر اصول البحث والتأليف وتعرض لقواعد المطالعة والتحقيق وقد الف الشيخ الشبيبي كتاب ابن الفوطي وفق هذا المذهب التأليفي القيم الذي دعا اليه و هو اول من اخترعه ونبه عليه[23] وفي عام 1967م كتب بحثا بعنوان تراث الشبيبي وبتاريخ 1989/9/12 القى محاضرة في اتحاد الادباء والكتاب في النجف بعنوان (شخصية الشيخ محمد رضا الشبيبي حتى انها اثارت استغراب شقيقه المرحوم الاستاذ محمد حسين الشبيبي الذي كان حاضرا مع جماعة من ادباء بغداد والنجف وقدم الاستاذ محفوظ بحثين عن العلامة الكبير والرجالي الشهير الشيخ آغا بزرك الطهراني المتوفى عام 1970م كان الاول بعنوان (مؤلف الذريعة) وقد نشره عام 1970م والثاني بعنوان اغا بزرك وقد نشره عام 1978م وكتب عن البحاثة المؤرخ الشيخ عبد الحسين الاميني صاحب كتاب (الغدير) بحثا بعنوان (نعي العلامة الاميني) وفي عام 1978م نشر بحثا عن العلامة المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي بعنوان (طرائف من سيرة الحبوبي وادبه) وبتاريخ 1993/7/25 ساهم في المهرجان الثقافي الاول لرابطة الصحفيين الشباب في النجف المخصص للشاعر السيد احمد الصافي النجفي يبحث فيه عن جوانب جديدة عن شخصية السيد الصافي وكان آخر نتاج الدكتور محفوظ عن اعلام النجف هو بحثه المعنون (مؤرخ النجف ماضي النجف وحاضرها) الذي القاه في الندوة العلمية التي اقامها مركز دراسات الكوفة استذكارا لشخصية الشيخ جعفر محبوبة المتوفي عام 1377هـ/ 1957م اما الدراسة الموسعة التي صدر بها كتاب (في ذكرى الامام السيد عبد الكريم السيد علي خان المدني للسيد سعدي عبد الرزاق دفتر القيسي، قد كشف فيها عن تطور الحياة العلمية في النجف خلال الف عام واذا استعرضنا كتاب (معجم المؤلفين) للاستاذ

عمر رضا كحالة نجد فيه تراجم مئات من اعلاما لنجف استقاها المؤلف من الدكتور حسين علي محفوظ.
اما المحور الرابع من هذا البحث فقد تناول كتابات الدكتور محفوظ عن المؤسسات الثقافية النجف ومعاهدها العلمية، ففي عام 1959م نشر بحثا بعنوان (فهرس الخزانة الغروية في النجف) وفي عام 1965م نشر بحثا بعنوان (النجف في المراجع العربية) وكان بحثه القيم الاصيل في موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، والذي جاء بعنوان (النجف في الحديث)[24]. وقد استقى نصوصه من امهات المصادر التاريخية والدينية و كتب التفسير والحديث، وكان الدكتور محفوظ قد وقف على مكتبات النجف وخزائن التفسير والحديث، وخزائن المخطوطات وقد وصفها بقوله: (عرفنا مما انقرض منها(22) خزانة كانت دور العلم ومجامع العلماء وقد عاصرنا (21) خزانة مهمة،ولا ريب ان بيوت النجف كلها خزائن ومخازن تملؤها الكتب وتعتز بالنوادر القيمة والاعلاق النفيسة[25] ووصف المؤسسات العلمية والثقافية في مدينة النجف الاشرف بقوله (مساجدها مدارس وجوامعها مدارسن ومحافلها مدارس، ومعاهدها مدارس وبيوتها مدارس، ومجالسها مدارس، ومجامعها مدارس، واسواقها مدارس وتنتشر الحلقات والدروس، ومجالس العلماء والادباء في كل الامكنة والبقاع[26] واستطاع الدكتور محفوظ استخراج كتاب (نزهة الغري في تاريخ النجف) للشيخ محمد بن الشيخ عبود الكوفي من بين المخطوطات النجفية، ونشره عام 1371هـ/1952م المرحوم الشيخ عبد المولى الطريحي.
وكان المحور الخامس لهذا البحث قد تناول المجتمع النجفي والاسر العلمية في كتابات الدكتور حسين محفوظ، وكان قد نظم ارجوزة في اسر النجف تجاوزت السبعين بيتا، وقد القيت في دار الحاج كامل الاعسم في بغداد، في شهر صفر عام 1417هـ وقال: (سكن النجف الاشرف رجال اعقبوا في البيوت والاسر ما تباهل به البلدان، وعرفنا منهم قرابة (100) اسرة خرجت المئات من الاعلام والرجال وله دراسات عن بعض الاسر العلمية النجفية كآل الجواهري وآل الكاظمي ، وآل الشريفي، ودراسات عن الاسر النجفية الاسدية. واشار الدكتور محفوظ الى العادات والتقاليد في المجتمع النجفي بقوله: (اختص اهل النجف الاشرف بالشجاعة والكرم والمروءة والنجدة والاصالة والنبالة والفطنة والذكاء والصفاء والوفاء ، واذا اعتزوا بحفظ الجار وحماية الذمار، واذ علمتهم الصحراء الصبر والجلد والصلابة، واذا اورثتهم البادية التعاون، واذا اعطتهم القوة والمنة، واذا امدتهم بالالمعية والبراعة[27].
وختاما اسأل الله العلي القدير ان يمد في عمر استاذنا الكبير حسين علي محفوظ ليقدم اوفر العطاء لخدمة تاريخنا وتراثنا.

هوامش البحث

(1) لقاء مع الدكتور حسين علي محفوظ في داره، يوم السبت 1996/8/24.
(2) جريدة الجمهورية بتاريخ 1991/6/9.
(3) الدكتور حسين علي محفوظ: مقدمة كتاب (في ذكرى الامام السيد عبد الكريم آل السيد علي خان المدني).
(4) جريدة الجمهورية، العدد 8274 بتاريخ 1996/8/18.
(5) لقاء مع الدكتور محفوظ في داره بتاريخ 1996/8/24.
(6) مجلة النجف، السنة الأولى، الجزء العاشر 1376هـ/1957م.
(7) محفوظ: مقدمة كتاب(في ذكرى الامام) ص19.
(8) م.ن ص14.
(9) م.ن ص19.
(10) الدكتور حسن عيسى الحكيم: الشيخ الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن ص88.
(11) محفوظ: مقدمة كتاب (في ذكرى الامام) ص19.
(12) م.ن ص14.
(13) م.ن ص15.
(14) م.ن ص15.
(15) م.ن ص16.
(16) م.ن ص16.
(17) م.ن ص16-17.
(18) م.ن ص17.
(19) جريدة الجمهورية، العدد 8274 بتاريخ 1992/8/18.
(20) جريدة الجمهورية، العدد 8274 بتاريخ 1992/9/1.
(21) جريدة الجمهورية، العدد 8269 بتاريخ 1992/8/17.
(22) لقاء مع الدكتور محفوظ في داره بتاريخ 1996/8/24.
(23) مجلة النجف ، السنة الأولى الجزء السابع 1376هـ/1957، ص12.
(24) موسوعة العتبات المقدسة، جمع الاستاذ جعفر الخليلي/ قسم النجف 67/1-87.
(25) محفوظ : مقدمة كتاب (في ذكرى الامام) ص20.
(26) م.ن ص19.
(27) م.ن ص19-20.